مسرح وسينما

مسرحية «أم رتيبة»

تأليف : الأستاذ يوسف الساعي إخراج : فتوح نشاطي
تمثيل : الفرقة المصرية

للأستاذ علي متولي صلاح

الإنسان — منذ كان — يتقلب بين الفرح والترح ، وتعتوره السراء والضراء ، وللجد عنده — كما يقول الشاعر — أوقات وللهزل مثلها ، وحياة موزعة بين هذين الأمرين ، ولن يستقيم لإنسان — مهما كانت الظروف التي تشتمله وتحيط به — واحد منهما دون الآخر

ولما كان المسرح — كما هو معلوم — صورة من الحياة وتعبيرا عنها وتفسيرا لها ، تعطيه الحياة فيأخذ ، وتمده بالصورة فيعبر ، كان — هو الآخر — متقلبا بين الفرح والترح ، والسراء والضراء .. ومنذ الأزمان السحيقة كان إلى جانب « التراجيديات » الفاجعة « كوميديات » هازلة ضاحكة ، وقد عرفها اليونان الأقدمون وكان لهـــا فيهم شعراء أعلام ما زال المؤلفون ينهلون منهم حتى اليوم ، مثل (أرستوفان) ، (فيلامون ، (ميناندر)

وقد عرفت الكوميديات الهزلية في مصر منـذ أمد ليس بالقصير ، وكان لها مسارح خاصة ، وممثلون يقومون بأدائها ولا يشاركون في أداء غيرها ، وكتاب يكتبون لها ويكادون يقتصرون عليها

وليس شيء أكثر ذهابا في الضلالة عندي من الرأي الذي ينادي بأن تقصر العناية على الجوانب الجادة في حياة الناس دون الجوانب الهازلة الضاحكة . إن ذلك خطر يجب أن يتنبه إليه المسئولون ، فالسم أكثر ما يكون خفاء عندما يندس في العسل ، والنفوس يستهويها النكتة وتأخذها الكلمة الضاحكة فتتسرب خلالها الحكمة والموعظة في لطف ويسر وخفاء لا يكون في الكلمات الجادة الصارمة ! والمسرحية التي جعلناها موضوع حديثنا اليوم من المسرحيات الكوميدية التي تعرض على الناس هذه الأيام ، وأعني بها المسرحية المسماة « أم رتيبة »

وهي تقوم على قصة أخوين : رجل وامرأة ، أما الرجل فقد كان يشتغل مدرسا للخط العربي ثم أحيل على المعاش ، فاشتغل بتحضير (الأرواح) وانهمك فيه وجمع حوله بطانة من محبيه ومريديه يعقدون بين الفينة والفينة (جلسة) لتحضير الأرواح والتذاكر في أحوال الدنيا والآخرة ، ولتبادل الآراء في فلسفة الحياة وما بعد الحياة . واسم هذا الرجل (عبد الصبور) وقد قطع حياته عزبا ، وكان يرى أن الزواج هو سبب الشقاء والبلاء وسبب خراب البلاد والعباد !

وأما المرأة فهي « أم رتيبة » التي كان أخوها هـذا عائقا دائما لها دون الزواج ، فقد خطبها الكثيرون فأبام أخوها ورفضهم جميعا لما كان يراه في أمر الزواج ، فقطعت حياتهـا هي الأخرى عزبة حتى بلغت الخامسة والأربعين وهي بين الحسرة والأسف واللهفة على الزوج الحبيب ، والولد النجيب !

وكان لها جار اسمه « سيد افندي » يشتغل خبيرا فنيا

فلسطين العربية — المساحة ٥ ، السكان ٥٣٠ ألفا الكثافة ١٠٦ بدون اللاجئين

السودان المصري — المساحة مليونان و٥٠٦ ، السكان سبعة ملايين و ٥٥٨ ألفا ، الكثافة ٣

سورية — المساحة ١٨٧ ، السكان ثلاثة ملايين و ٤٣٥ ألفا ، الكثافة ١٨ بدون اللاجئين

تركيا — المساحة ٧٦٧ . السكان ١٩ مليونا و ٦٢٣ ألفا . الكثافة ٢٦

اليمن — المساحة ١٩٥ ، السكان أربعة ملايين و ٥٠٠ ألف ، الكثافة ٢٣

فى معمل « طرشى » ! جاء يخطبها من أخيهـا « عبد الصبور » الذى ما كاد يعلم صناعته حتى طرده شر طرد لما كان بينه وبين « الطرشى » — كما يقول — من عداء قديم مستحكم ! ثم مات أخوها فانكشفت النعمة وزال العائق الثقيل وتزوجت « أم رتيبة » من « سيد أفندى » على يد (مأذون) صديق من مريدى أخيهـا « عبد الصبور » ومحبيه

وقد كتبها المؤلف (الأستاذ يوسف السباعى) باللغة العامية ؛ لأنه يرى أنه « من الجنون أن يحـاول إنطاق أبطالها باللغة العربية » وللمؤلف فى ذلك بواعث وأعذار ! أما البواعث فهى أنه متغلغل فى فهم الروح الشعبية واللغة العامية تغلغلا قل أن توفر لغيره ، فهو يجد يسرا وسهولة فى الأداء باللغة العامية قد لا يجدها فى الأداء باللغة العربية ! وأما الأعذار فإن أبطال الرواية — أو أغلبهم على الأصح — من عامة الشعب الذين لا تجرى اللغة العربية على لسانهم فى شئ ، فكان من كمال « الواقعية » — فى نظر المؤلف — أن يكون كلامهم باللغة العامية ! وجو الرواية — كذلك — جو شعبى خالص ، لا يبدو فيه الكلام العربى إلا كما تبدو الرقعة فى الثياب ! هذه بواعث وأعـذار المؤلف — على ما يبدو لى — فى استعمال اللغة العامية ، ولـكنى نظرت فوجدته يخاطب الخـادم « زينهم » المسرف فى الشعبية بقول أبى نواس (وداونى بالتى كانت هى الداء) ، ويخاطب الخادمة « سنية » بقول أبى العلاء (هذا جناه أبى على) فكيف تسنى لهما أن يفهما ذلك وهما أقل أشخاص الرواية علما وإدراكا ؟ ووجدته يجرى فى الرواية عددا من الألفاظ العربية الفصيحة مثل قوله « المصل الواقى » ، « حاجة تبدد الإيمان » ، « الدنيا سفر والآخرة غاية » وغيرها ، فكيف أمكن أن تفهم هذه العبارات فى الجو الشعبى الذى أنحدر من « حوش آدم » ؟ أنا لا أشـير باستعمال اللغة الفصيحة العالية الجزلة على المسرح ، ولـكنى أريد الحلقة المفقودة عندنا ، أريد اللغة العربيـة اليسيرة السهلة التى لا يفصلها عن العامية إلا حاجز رقيق لطيف ، واعتقادى أن الأستاذ يوسف السباعى — وقد بلغ فى فهم اللغـة العامية والروح الشعبى مبلغا بعيدا — يستطيع بشئ من الجهد والدأب والمشقة أن يجئ لنا بهذه الحلقة المفقودة

والأستاذ يذكر لنا أن هذه المسرحية أول محاولة منه فى كتابة المسرحية ، فإن كان الأمر كذلك ، فإن الأمل المرقوب منه كثير .. إن الموهبة مكتملة فى المؤلف دون ذلك ، وإنما تنقصه فى معالجة « المسرح » أمور أرجو أن يتوفر على استكمالها ، وأنا أهمس إليه ببعض ما فى مسرحيتنا هـذه من تلك الأمور ، فإنى أرى فيه بوارق وضاءة من أمل كبير

أراه يوزع الحوادث والـكلام على الفصول توزيعا غير عادل ! وأنا أعلم أن الحوادث قد تقتضى المؤلف شيئا من ذلك ، ولـكننى أعلم كذلك أن المؤلف القادر هو الذى يحكم هذه (الحوادث) ويطوعها لقلمه ولتصرفه ! فالفصل الأول كبير مزدحم ، والفصل الأخير صغير متخاذل ، والفصل الثانى بين بين !

وأراه يعنى — أكثر ما يعنى — بإيراد النكتة تلو النكتة ، والأصل فى المسرحية أنها « موضوع » والنكتة فيها ثانوية لا يجوز لها أن تغطى على الموضوع الأصلى الذى هو « مركز الاستشارة » كما يقول فقهاء المسرح

وأراه يكثر من الحكايات الجانبيه التى تقع فى المسرحية كما تقع (الجملة المعترضة) فى الـكلام ! والإكثار من هذه الحـكايات — فوق أن فيه تعطيلا لحركة المسرحية — فهو يصرف المؤلف عن الاهتمام بالموضوع الأصلى الذى يجب أن يـكون له المحل الأول دائماً ، وقد أورد المؤلف من ذلك حكايات طويلة كحـكايات « المزين » وحـكاية « البنت هانم » صديقة الشيخ جاد وسواها .

وأراه « يرشح » لبعض الحوادث بكلام سافر يدل عليها قبـل وقوعها ! مثل « إرهاص » أم رتيبة بقدوم الضيف فيقدم الضيف بعد إرهاصها ومثل إرهاص « سيد

أفندى » بأنه سيموت وتوكيده ذلك وتوديعه لأهله وصعوده إلى السرير ليموت فيأتيه الموت فعلا ! وغير ذلك . والمسرح (أفعال) لا (أقوال) فالحوادث وحدها هى التى ترهص وترشح إن جاز أن يكون فى المسرح إرهاص أو ترشيح ..

وأراه — وذلك أمر ذو أهمية كبيرة للمؤلف — يجرى على لسان شخصياته كلاماً لا مواربة فيه يمس مقدسات الناس وعقائدهم الدينية ، كلاماً سافراً جداً قد يشك بعض الناس فيما يعتقدون به ويخضعون له . ولست أريد أن أردده هنا ولكنه مضطرب فى كثير من صفحات الرواية وخصوصاً فى الصفحات (١٣٥، ١٦٤، ١٦٩، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤) والمسرح للناس جميعاً وفيهم الساذج وضعيف الإيمان والحائر بين العقائد ، فإن كانت إشارة لامعدى عنها إلى هذه الأمور فلتكن خفيفة خاطفة لا صريحة سافرة متكررة كما رأينا .

وأراه يسرف فى بحث المشكلات الاجتماعية والدينية بحثاً جدلياً نظرياً كأنه محاضرات ! فيبحث — فيما يبحث — مثلا الاشتراكية ونظام الطبقات ومعاهدات « عدم الاعتداء » والإيمان الأعمى والموت وما بعد الموت وسواها ، وذلك تحميل لهذه المسرحية الكوميدية مالا تحتمل ! واعتقادى أن مرد ذلك القلق عند مؤلفنا الفاضل إلى « رباعيات الخيام » التى ترجمها والده الأديب الكبير المرحوم الأستاذ محمد السباعى وعاش مؤلفنا فى جوها منذ كان طفلا فامتلأت بها نفسه وأخذ يرددها منثورة فى مسرحيته !

وأراه ينطق الخدم وغيرهم بكلام قد يجرح حياء بعض من يرودون المسرح (كقوله تناكحوا تناسلوا) ، وقوله (تبقى قيمة العيشة إيه لما الواحدة مانعملش الحاجة اللى اتخلقت علشانها ؟) وقوله (أمد إيدى تحت القميص بس ماتبقيش تقولى شيل إيدك) ! ومثل وصف صدر المرأة وبطنها قبل الزواج وبعده !

وأريد أن أسأل المؤلف : كيف ينتقل الحديث فجأة من حديث (اللوخية والكسبرة) إلى حديث زواج أم رتيبة ولا اتصال بينهما ؟ وكيف يدخل الخدم ويخرجون هكذا دون داع ودون استئذان ؟ وكيف يجرأون هكذا على المراك بالكلام وبالأيدى ، وكيف يتغزلون بالغزل المكشوف أمام سادتهم ؟ اللهم إلا إذا كان دخولهم لدفع ملل من حديث طويل أو لإحداث حركة فى موقف خامد ! وكيف تستغفهم (أم رتيبة) هل مات (سيد أفندى) عند ماشرب ماء اللفت وهو طفل مع أنه يسكن جوار منزلها وتراه كل يوم وتسمع عنه كل يوم وتأمل الزواج به ؟ وكيف يسأل (عبد الصبور) — فى أول الرواية — عن صديقه (علوان افندى) الذى لم يحضر مع مريديه ومحبيه سؤالا نفهم منه أنه يعجب لعدم حضوره معهم ويستنكر ذلك مما يدل على أنه يواظب على حضور هذه الجلسات التى يعقدونها لتحضير «الأرواح» ثم تمضى الرواية كلها دون أن نرى (علوان افندى) هذا ؟

وأريد — قبل أن يمضى بى الحديث إلى غايته — أن أنوه بالمجهود الكبير الذى بذله الأستاذ فتوح نشاطى فى إخراج هذه المسرحية ، فقد التمس لكل دور الشخص الذى لا يتصور الخيال أن أحدا غيره يناسبه ! إنه قد تعمق فهم شخصيات المؤلف وأخرجها لنا كما يريدها المؤلف تماما حتى صارت شخصيات نموذجية فى موضوعها ومعناها وصورتها أيضا ! وإن الحيل المسرحية التى اعتمد عليها فى تحضير « أرواح » الموتى ، وفى تحريك المنضدة والكوب والكراسى حيل بارعة لايظهر فيها افتعال أو صنعة ! ولقد نهض الممثلون بأدوارهم فى براعة أشهد أنها فى الذروة من البراعة والشقة والجهد ، ولا أدرى كيف أشيد بأحدهم وأترك الآخرين فكلهم ناجح وكلهم مشكور ، بيد أنى آخذ على « وداد حمدى » التى كانت تقوم بدور الخادمة أنها لم تكن خادمة حقا ! وأقرر أن هذا عيب شائع فى ممثلينا ، فهم يرضخون لحكم (الصنعة) عندما يكلفون تمثيل أدوار